

إبستمولوجيا الفكر المركَّب في كُتُب المتخَلِّي عن الأدب "عبد الفتاح كيليطو"

The epistemology of complex thought in the books of the
Abandoning literature Abdel Fattah Kilito



د. نور الهدى رابحي *

مُخبر الدِّراسات المصطلحية والمعجمية، جامعة يحيى فارس - المدية (الجزائر)

rabehi.nourelhouda@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/05 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النُّشر: 2025/12/16



ملخص:

تتغيا ورقتنا البحثية هاته مُعاودة الإجابة عن التساؤل الإيستيمي المطروح من قِبل "عبد السلام بنعبد العالي Abdessalam Benabdelali" المترجم الأشهر لأعمال "عبد الفتاح كيليطو Abdelfattah Kilito"؛ المتمثل في كيفية إجازة المزوجة بين كتابات الأخير التي تُفتق كمان الممارسة الإبداعية الأدبية/ النقدية التراثية، وبين الفلسفة من حيث هي استراتيجية لتقويض الأزواج المفاهيمية الميتافيزيقية القابعة في كنف مختلف الأشكال الثقافية، لعلّ الأدب أجلها، مُحذيين في ذلك ببراديجم "إدغار موران Edgar Morin" المركَّب الذي يُراهن على الارتكان إلى اللابقيين، كما هو الشأن مع لا مُستسيغ التبسيط "عبد الفتاح كيليطو" الذي راح يقيم مُحكمة مفهومية لمصطلحات سيديمية كـ "الأدب، والقراءة، والقارئ، والجمالية/ الغرابة"؛ مُحكمة يسكن مبادئها الثلاث "المبدأ الحواري، والارتداد التنظيمي، والمبدأ الهولوجرامي" وهم التأسيس لميتا-زاوية نظر تُوحّد المتعدّد هو هنا "الفلسفة والأدب".

الكلمات المفتاحية: الأدب؛ عبد الفتاح كيليطو؛ الفكر؛ إدغار موران؛ الفكر المركَّب.

* المؤلف المراسل

Abstract:

Our research paper aims to re-answer the epistemological question posed by "Abdessalam Benabdelali", the most famous translator of the works of "Abdelfattah Kilito". It is represented in how it is permissible to combine the latter's writings, which break the ambushes of traditional literary/critical creative practice, with philosophy as a strategy for undermining the metaphysical conceptual pairs that exist within the confines of various cultural forms, perhaps for which literature should be postponed, following the example of "Edgar Morin's" paradigm. The compound that bets on relying on uncertainty, as is the case with the unpalatability of simplification, "Abdel Fattah Kilito", who began to conduct a conceptual trial of Sidimian terms such as "literature, reading, the reader, and aesthetics/strangeness." A trial whose three principles are inhabited by "the dialogical principle, the organizational regression, and the holographic principle." The illusion of establishing a meta-angle of view that unites the multiple is here "philosophy and literature"

.key words: Literature; Abdel Fattah Kilito; Thought; Edgar Morin; Complex Thought.

مقدمة:

لما كان القبول بالتعقيد هو قبول بمفارقة، وبالفكرة التي مفادها أنه لا يسعنا حجب التناقضات داخل رؤية اعتباطية للعالم، كان لزاما علينا تحسس طرائق ارتسام معالم جديدة لأوجه الفهم والقراءة، قراءة الأعمال الأدبية والنقدية سيما العربية الكلاسيكية منها، وفق منطق لا يطمئن إلى يقين المنظومة التبسيطية في إنتاجها للتجزئي؛ كل هذا بعيون الناقد والمفكر "عبد الفتاح كيليطو" الذي نحاجج على إمكانية فتح مشروعه النقدي أفقا إبستمولوجيا تتحاور فيه التماذج الفكرية الجديدة تارة، وتتضارب تارة أخرى مع التماذج التبسيطية المهيمنة طيلة الأزمنة الحديثة، علَّ أجّلها تفكير "عبد الفتاح كيليطو" في اللامفكر فيه والارتكان إلى اللايقين، عبر ابتداء واستبدال المفاهيم الكبرى التي تخولنا من تعقيد واقع الفكر المعاصر ومن ثم تحضير المعرفة المعاصرة، فـ"عبد الفتاح كيليطو" الذي نعتنه مجازا بـ"المتخلى عن الأدب" نظرا لانسياقنا نحو دلالة كتابه "التخلي عن الأدب" الصادر عن منشورات المتوسط 2022 الظاهرية، لم يتخل فعليا عن المملكة الحيوية

للفعل ألا وهي الأدب ، إنّما تخلّى عن البراديغم التبسيطي في دراسة الأدب وتدريسه، البراديغم الذي يختزل التّصورات في نموذج واحد أوحد، كلّ هذا دفع بنا إلى التساؤل عن: ماهية الفكر المركَّب الإدغار-موراني؟ هل براديغم التّعقيد يمثل قطعة مع سابقه براديغم التبسيط؟ كيف تمكّن "عبد الفتاح كيليطو" من التأسيس لميتا-زاوية نظر التراث الإبداعي العربي الكلاسيكي؟ وما هي أبرز المفاهيم السّيديمية -التّخيرية- التي حاكمها قصد توحيد المتعدد؟

المبحث الأول: من باثولوجيا التبسيط إلى إبستمولوجيا التّعقيد

في بادئ التأسيس لمفهمة براديغم التّعقيد الإدغار-مورانيّ يتعين علينا تقصي مراحل صيرورة الفكر الإنساني، كأحد أسْمَى أوجه الوعي بباثولوجيا الفكر المعاصر التي خُبرت مع منظومة التّعقيد الفائقة، إذ يستحيل بما كان التعرض لمنظومة التّعقيد دون العودة إلى سابقتها منظومة التبسيط، كما "يجب علينا أن نعلم أن هناك منظومة خاصة بالبساطة. غالبا ما يتم استعمال كلمة منظومة. ففي تصورنا، تتشكل منظومة ما من نوع من العلاقات المنطقية القوية جدا بين مقولات رئيسة، ومقولات/ مفاتيح، ومبادئ/ مفاهيم، وتقوم هذه العلاقة وهذه المبادئ بتوجيه جميع الخطابات التي تخضع بشكل واعي لقبضتها"¹، فهي -منظومة التبسيط- من وجهة نظر "إدغار موران" أقرب إلى براديغم متجذر في كل الخطابات التي تنتظم معارفها وفقا لصيغ مقولاتية، تغدو بها أداة مميزة تمكّنا من إظهار النموذج الذي نفكر به ونبني عليه علاقاتنا مع العالم.

يُرجع "إدغار موران" أصالة صياغة "منظومة التبسيط" لأبي الفلسفة الحديثة الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت" René Descartes ، الذي "صاغ هذه المنظومة المسيطرة على الغرب عن طريق الفصل بين الذات المفكرة (ego-cogitans) والشيء الممدود (res-extensa) أي الفصل بين الفلسفة والعلم، وكذا عن طريق وضع الأفكار "الواضحة والمميزة" كمبدأ للحقيقة، أي الفكر

الفاصل نفسه، ولا شك أن هذه المنظومة التي تراقب مغامرة الفكر الغربي منذ القرن السابع عشر سمحت بحدوث تقدم كبير على صعيد المعرفة العلمية والفكر الفلسفي، ولم تبدأ مخلفاتها الضارة الأخيرة في الانكشاف إلا في القرن العشرين²، إننا أمام هذا التّصور الحداثوي نميز أسبقية ارتسام "رينيه ديكارت" معالم منظومة التبسيط أو البداهة في الأزمنة الحديثة، فهو عن طريق مقدّمته الكبرى التي تفصل بين الذات المدركة (المفكرة) وبين موضوع الإدراك المألوف (الشيء الممدود) فصلا تاما، قد مكّن من بناء نمط تفكيري جديد يُحتكم فيه إلى العقل وحده لا إلى التراث الكنسي السكولائي، ليكون بهذا الكوجيتو الديكارتي "أنا أفكر إذ أنا موجود" ليس فقط أهم تطور حصل في الفكر الإنساني الغربي، إنّما أول ممارسة ارتيائية شخّص "إدغار موران" باثولوجية تحصيلها معرفة تنتزه عن الوصاية اللاهوتية قياسا واحتكاما إلى موضوع المعرفة الأوحد، ألا وهو سلطان العقل.

إذن، منهج الشك كما مارسه "رينيه ديكارت" قاد إلى تكريس فكرة البساطة أو البداهة، حيث يقول في هذا الشأن: "لما سعت إلى اكتشاف الخطأ أو عدم اليقين في القضايا التي كنت أفحصها، لا باعتماد فرضيات واهية، بل باعتماد استدلالات واضحة ويقينية لم أجد فيها ما من شأنه أن يقبل الشك، إلا استخلصت منه بعض الخلاصات التي فيها شيء من اليقين"³، فعملية إحلال منهج "رينيه ديكارت" ملكة العقل وحركيته المطلقة طبقا لحقيقة بديهية وثابتة ماهية قضاياها محل التفسيرات اللاهوتية، كان مبتدأ برادغم التبسيط وخبره.

إذما سلمنا جدلا بأنّ مقدمة الشك الديكارتية هي منظومة البداهة والتبسيط، فإنّه يمكننا الحديث الآن عن أهمّ مقولاتها الإبستمولوجية، والتي أجملها نموذج "إدغار موران" الجديد في ثلاثة مقولات أساسية مثّلت دعائم العلم الكلاسيكي هي النظام أو الترتيب/ الفصل/ الاختزال/ إضفاء البعد الأحادي، لقد كان أول هذه الدعائم هو "مصطلح

النظام أو الترتيب ناتجا عن تصور حتمي وميكانيكي للعالم. كل فوضى ظاهرة كانت معتبرة نتيجة لجهلنا المؤقت. وراء هذه الفوضى الظاهرة كان هناك نظام متخف ينبغي اكتشافه"⁴، أي أنّ "النظام **Ordre**" هو السمة التي تطبعت بها معرفة العلم والعالم بعد تجاوزه الفوضى الظاهرية المؤقتة وإقصائه لها حين عملية تفسير الظواهر أو البحث عن القوانين المشتركة التي تحكمها.

في حين أنّ المقولة الثانية التي تعقب النّظام، تتمثل في "Séparabilité" وهو يطابق المبدأ الديكارتي الذي ينبغي حسبه لدراسة ظاهرة أو حل مشكلة تحليلها إلى وحدات بسيطة، ترجم هذا المبدأ في المجال العلمي بالتخصص ثم بالتخصص الضيق أو الدقيق من جهة، ومن جهة أخرى بفكرة أنه يمكن اعتبار الحقيقة الموضوعية دون اعتبار من لاحظها"⁵، بينما المقولة الثالثة لبراديغم التبسيط المتمثلة في "الاختزال **Réduction**" فهو حسب "إدغار موران" يقود إلى اختزال المركَّب في البسيط وهو ما يتجسد في اختزال "رينيه ديكارت" أو بالأحرى براديغم البدهة للإنسان المركب في العقل، واختزاله لسبل المعرفة في المعرفة العقلية مثلما هو معلن عنه في مقال حول الطريقة، حيث أعلن بصريح العبارة أنّ الأولوية هي للعقل، وأنّه يجب الارتكاز على العقل وحده، إنّ العقل الذي يتمتع به الجميع والذي أعطى لكل فرد هو أساس بناء البحث الفلسفي⁶، ومنه نفهم بأنّ مقولة الاختزال التي أقرها بيان التبسيط الديكارتي الارتياحي هي أولوية الذات المتعالية في مقابل الموضوع المدرك، حيث تحول العقل وهو أعدل قسمة بين البشر مع "رينيه ديكارت" إلى معيار التمثّل الوحيد لكل ما هو موجود وغير موجود في الوقت عينه.

تسوقنا مقولات منظومة التبسيط الديكارتية إلى التعرّيج لا محالة عن منظومة التعقيد التي لطالما "هيمنت (الفصل والاختزال) على ثقافتنا اليوم، واليوم أيضا يبدأ رد الفعل ضد هيمنتها. إلا أنّه لا يمكننا أن نخرج، لا يمكنه أن يخرج، ولا أزعم أنني أخرج من جيبي

منظومة خاصة بالتعقيد. إنّ منظومة ما - إذا كان من الضروري أن يصوغها أحد ما، ديكرات مثلاً - هي في العمق نتاج تطور ثقافي وتاريخي وحضاري، فمنظومة التعقيد تستخرج من مجموع التّصورات الجديدة والرؤى الجديدة والاكتشافات الجديدة والتأمّلات الجديدة التي ستتطابق وستلتقي فيما بينها"⁷، وكأنّ منظومة التعقيد الإدغار-مورانية في هذه المقطع تأتي فاتحة أفقا إبستمولوجيا جديدا تتحاور فيه النّماذج الفكرية الجديدة تارة وتتضارب فيه تارة أخرى مع النماذج التبسيطية المهيمنة، وفي مرحلة تليها تستبدل أدواتها المفهومية.

على الرغم من سريان منظومة التعقيد في تعاصرنا الثقافي كضرورة ملحة استدعتها عملية تحضير المعرفة، إلا أنّه يتعذر ليس علينا فقط، بل حتى على واضعها "إدغار موران"، حسم مدلول نهائي للتعقيد، فهو "من أول وهلة، يقول إنّ التعقيد هو نسيج (complexus: ما نسج ككل) من المكونات المتنافرة المجمعة بشكل يتعذر معه التفريق بينها. إنّّه يطرح مفارقة الواحد والمتعدد. ثانيا، بالفعل إنّ التعقيد هو نسيج من الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتحديات والمصادفات التي تشكل عالمنا الظاهري. لكن في هذه الحالة يحمل التعقيد بشكل مقلق سمات الخليط وغير القابل للفصل والاختزال والغموض واللايقين... من ثمة تظهر ضرورة تنظيم المعرفة للظواهر عبر كبت الاختلال وإزاحة اللايقيني"⁸، بحيث هذه الالتفاتة الإدغار-مورانية السابقة من نوعها تفهم على مستويين، الأول تشابكي دلالة مفردة التعقيد الكمية، تستوعب رحابة نسيجه اللايقيني واللامتوقع والارتدادي واللامحدد والصدفوي؛ مُجمل القطع المتنافرة التي تأبى التفكك إلى وحدات تكوينها الأولى، أما المستوى الثاني فهو باني منهجية عمل الفكر المركّب.

يضع "إدغار موران" بعض الأدوات المفهومية هي بمثابة وصايا الفكر المركّب، يتغلب بمعيتها على تحدي تجاوز اختزال المركّب في البسيط، أو بعبارة أخرى تحدي توحيد

المتعدد، وهي أدوات استبدالية في جوهرها، يستبدل فيها التمييز/ الوصل مقولتي منظومة التبسيط الفصل/ الاختزال، لكي "تضمن هذه المنظومة -منظومة التعقيد- مبدأ حوارياً* وعبر منطقي يدمج المنطق الكلاسيكي مع الأخذ بعين الاعتبار لحدوده الفعلية (مشكلات التناقضات) ولحدوده بالقوة (حدود البناء الصوري) كما تحمل في طياتها مبدأ الوحدة المتعددة الذي يفلت من مبدأ الوحدة المجردة الآتية من الأعلى (نزعة كلية) ومن الأدنى (النزعة الاختزالية)"⁹، هكذا دواليك صار بمقدورنا النظر إلى منظومة التعقيد على أنّها المنظومة البديلة لمنظومة التبسيط الديكارتية التي تبحث عن إمكانية التفكير عبر اللايقينيات وعبر التناقضات، دونما إدانة ميتافيزيقا النظام والبداهة، وعليه "إن الفكر البسيط يحل المشاكل البسيطة التي لا تطرح مشاكل تفكيرية. أما الفكر المركب، فهو لا يحل المشاكل من تلقاء ذاته، لكنه يساعد على إيجاد الاستراتيجية القادرة على حلها. إنه يقول لنا: "ساعد نفسك يساعدك الفكر المركب"¹⁰، إنّه -الفكر المركب- تحدي إيجاد استراتيجية تجدد أجندة الفكر، وتعيد بعث ارتدادات عناصرها الصدفوية اللامنفصلة عن نظام الصدفة.

المبحث الثاني: ميتا-زاوية التراث الفلسفي عند عبد الفتاح كيليطو

خِلَافاً لاختتمامية "إدغار موران" حديثه عن المبادئ التي تحوّلنا من التفكير في تعقيد الواقع؛ فإنّنا سنفتتح مُغامرتنا الفكرية مُوحدة المتعدّد هو هنا كتابات "عبد الفتاح كيليطو" التي تُفتق كمائن الممارسة الإبداعية الأدبيّة/ النّقديّة الثّرّائية، وبين الفلسفة من حيث هي استراتيجية لتقويض الأزواج المفاهيمية الميتافيزيقية، وذلك بما اعتبره "إدغار موران" ضرورة تستوجب منا التفكير عبر ابتداع مفاهيم كبرى، لعلّه الأمر الذي تداركه "عبد الفتاح كيليطو" حين مُحَاكَمَتِهِ لمصطلحات سيديمية كـ "الأدب"، والمؤلف، والقارئ، والغربة؛ مُحَاكَمَةً يسكن مبادئها الثلاث "المبدأ الحواري، والارتداد التنظيمي، والمبدأ الهولوغرامي" وهم التأسيس لميتا-زاوية نظر التراث الإبداعي، بخصوص المبدأ الحواري فهو

"محاولة إلغاء ما يعارضها تبني الفكرة ذاتها حين يمكنها التوالد في منظومة ذات ذاكرة وراثية استفادت من إرادة التلف عبر الاختلال، والمبدأ الثاني المتمثل في الارتداد التنظيمي، إذ يخلف التزود بعناصر الحياة للاستمرار في المسار الذي بدوره سيولد مسارات، لذلك تشكل الفكرة الارتدادية قطيعة مع الفكرة الخطية القائمة على ثنائية العلة/ النتيجة، والمنتوج كل ما يتم إنتاجه حين يعود على ما ينتجه داخل حلقة هي ذاتها تشكل وتنظم وتنتج ذاتها ذاتيا، تتم حيثيات التجديد لهذه الوجهة البحثية باعتماد المبدأ الهولوجرامي حيث تضم أصغر نقطة كل الكم المعلوماتي الخاص بالموضوع الممثل¹¹، فقياسا منا ممارسة "عبد الفتاح كيليطو" النقدية بمبادئ التفكير في تعقيد الواقع الثلاث، تغدو ظاهريا محاورته للتراث العربي محاولة في إلغاء لضده الفكر الغربي، حيث كل واحد منهما يلغي الآخر أو يعارضه مع الإبقاء على وحدتهما وانتظامهما داخل منظومة التعقيد؛ أي أنّ مبدأ "عبد الفتاح كيليطو" الحوارية يتجلى لنا في جمعه بين حدين متكاملين ومتعارضين في الوقت عينه، يعيدان دوما تشكيل وتغير مسارهما الذاتي خطيا حتى يتسنى لأصغر وحدة ومنهما احتواء وتمثل الكل.

بيد أنّه "علينا نعرف بأنّ المفاهيم، عندما يتعلّق الأمر بالمواضيع الأكثر أهمية، لا تتحدّد أبداً بحدودها ولكن انطلاقاً من نواتها. يتعلّق الأمر هنا بفكرة ديكرتية مضادة، بالمعنى الذي يعتقد فيه ديكرت أنّ التمييز والوضوح خاصيتان محابشتان لحقيقة فكرة ما"¹²، تماماً كما هو الحال مع "عبد الفتاح كيليطو" الذي يتعاطى مع المفاهيم الكبرى مستنطقاً خصوصياتها الثقافية، سيما وأنّ الأدب كالفعل هو المملكة الدينامية لبراديعم الفكر المركّب، ليس هذا فحسب، إنّ ما يجب أخذه في الحسبان كون "الشيء الوحيد الممكن من وجهة نظر التعقيد -وهو أمر في حد ذاته هام جداً- هو التوفر على ميتا-زاوية للنظر إلى مجتمعاتنا"¹³، وأدبنا على وجه التحديد.

المطلب الأوّل: الأدب بين الألفة والغربة

تكمُن أولى المفاهيم التي سنطرق بها مسار "عبد الفتاح كيليطو" التَّقدي غير المطروق، في مفهوم الأدب أو الأدب الكلاسيكي كما يؤثّر تسميته، فهو يعيد صياغة مفهوم الأدب صياغة تعريفية وتعيينية "محاوِلا كما يرى "عبد السلام بنعبد العالي" خلخلة منطق الهويّة الذي يتحكّم فيها ويحملها معنًى واحدا جامدا ويفصلها عن حياتها ويغفل إرادات القوّة التي تتصارع من ورائها، فعندما يتعرض "عبد الفتاح كيليطو" لكلمة "نص" مثالا لا يشعرنا أنّه بصدّد تقصي معناها الوحيد الذي يصدق عليها في جميع العصور وجميع الثقافات، إنّهُ يحاول أن يبرز كثافة المعنى الذي يقرن بهذه الكلمات وإرادة القوّة التي توجد من ورائها والتي تتحكّم في ثقافة ما، وهذا شأن الأدب والسرد الذي اعتدنا على النظر إليهما بجاهزية¹⁴، بمعنى أنّ "عبد الفتاح كيليطو" لم يترصد دلالات مفهوم الأدب، بل وضعها محل مُساءلة نقدية، لكنه يتساءل عن معنى النصّ قبل الحديث عن الأدب، فالنّص علاوة على كونه جملة أو مجموعة من الجمل بالنسبة إليه مقابل لكلمة اللانص والذي لا يكتسب معناه إلا داخل ثقافة معينة، فضلا عن البُعد التعليمي الذي يرمي إليه تنظيمه الدّاتي الخاص.

يجوز لنا الحديث الآن عن "الأدب" بلسان "عبد الفتاح كيليطو"، فأوّل ما نقوله هو أنّنا اليوم لا نكاد نستعملها بالمدلول الذي كان لها في الثقافة الكلاسيكية، وإنّما نستعملها بمدلول كلمة "littérature" وفرق بين أن تقول "الأدب" وبين أن نقول "la littérature" ولعلّنا سنُقرّ بهذا إذا حاولنا ترجمة عنوان "الأدب الكبير أو الأدب الصغير" لابن المقفع إلى الفرنسية... ومنه يمكن القول أنّ الأدب بالمعنى القديم يشكّل نمطا خطايا "un type de discours"، فعند "ابن المقفع" تدل الكلمة على ما يجب التحلّي به من الأخلاق والفضائل، وعلى النّسق الذي يجب مراعاته في المعاملات مع الغير، الأدب بهذا له صبغة تعليمية والنّص الذي يحقق هذه الصفة تغلب عليه صيغة الأمر والتّهي، بهذا المعنى يصبح مثالا كتاب "كليلة ودمنة" أقرب إلى

الموعظة من إلى القصة، إذ أنّ حكاياتها الموضوعية على لسان الحيوانات تصوّر حكمة صريحة أو مضمرة تتميّز بالأمر والنهي¹⁵، تبعا لهذه الاعتبارات التي أولاها "عبد الفتاح كيليطو" اهتماما يتراءى لنا بأنّه:

- تجاوز "عبد الفتاح كيليطو" مدلول كلمة "الأدب" الحديث عن طريق إرجاع وحداته المفهومية إلى مهادها الإبستيمي الذي يحتضن نمطا خطابيا خاصا ألا وهو الثقافة العربية الكلاسيكية.

- إنّ كتابي "ابن القفع" "الأدب الكبير" أو "الأدب الصغير" خير مثال على عدم انسجامية مفهوم الأدب في العصر الكلاسيكي مع مفهومه في العصر الحديث، ذلك أنّ بنية تصوّراته التأليفية كانت تبني وفق نمط خطابي تعليمي بالدرجة الأولى "صيغة الأمر والنهي".

وفي سياق مُتصل بالحديث عن مفهوم الأدب، يُعرِّج "عبد الفتاح كيليطو" على مفهومي "الألفة والغربة" اللذين "يستمدان أهميتهما في الخطاب الأدبي وفق نظرة شاملة تتناول مجمل الخطابات المجاورة له، وهذا على أساس نسق ثقافي مُوحّد يكون بمثابة الأصل النظري للكشف والتأويل... والتسليم بالقيمة الفنية وغيرها من القيم النصّوسية التي لا تلغيها الدلالة التّسقية، فهما عنصرتين أساسيتين تبني عليهما لغة الأدب، فتجلي عنصر الألفة يكون على مستوى التعابير المتداولة والشائعة، أمّا الغربة فجوهر انبثاقها هو التعابير البعيدة عن إطار ما هو مُعطى وجاهز"¹⁶، وعلى هذا الأساس مقياس العمل الأدبيّ الممتاز لدى "عبد الفتاح كيليطو" هو غرابته، أحيانا يرفع القارئ عينه ويقول لنفسه: عجيب، عجيب هذا الكتاب. إذ ذاك، وإذ ذاك فقط، يكون المؤلف قد حقق التواصل ووفق إلى جذب القارئ إليه. لا أرى مقياسا آخر، فحسب علمي لم تفرز الدّراسات الحديثة معيارا موضوعيا يمكن الاعتماد عليه للحكم على جودة الأعمال الأدبيّة، إلّا أنّ هذا لا يحول دون إخضاع الغربة لتمحيص عقلائي"¹⁷.

المطلب الثاني: المؤلف

أمّا المفهوم الثّاني الذي يُعبد لنا طريق تَلْفِيق مِيتا-زاوية التّفكير التّراثي في تعقيد الواقع لدى "عبد الفتاح كيليطو" هو مفهوم "المؤلف" مُوالي الخصائص العامّة للنّص العربي الكلاسيكي، إذ السياق المناسب الذي أعاد فيه الأخير استجواب موضوعه "المؤلف" في الثّقافة العربيّة الكلاسيكيّة، راجع إلى استحضار ذِكرى من الطفولة، فقد "حدث يوماً... أن توجه تلميذ من السنة الأولى للثانوي، صحبة رفيقين أو ثلاثة نحو أستاذ اللّغة الفرنسيّة عند نهاية الدرس، ليُلقي عليه السّؤال التّالي: هل ينبغي، عند قراءة كتاب (رواية)، استذكار اسم المؤلّف، فضلاً عن الحكاية؟"¹⁸، وهو السّؤال الاستذكاري الذي سيمكننا من تكوين المِيتا-نسق مثلما مكّن كتاب "الكتابة والتّناسخ" لـ "عبد الفتاح كيليطو" من رسم صورة المؤلّف في الثّقافة العربيّة الكلاسيكيّة.

ينطلق "عبد الفتاح كيليطو" في ارتسام معالم المؤلّف الذي هو مدار العملية الحيويّة لفعل الكتابة، من تصوّر أوّلي يتجاوز فيه السّجلات الحديثة المحتدّة حول "المؤلف" أو حتى "موت المؤلّف"، كما يرفض أو ترفض فيه الثّقافة العربيّة الكلاسيكيّة "سرد المحاكاة" التي تفتقر إلى التوثيق وتسعى إلى إخفاء الهويّة، إذ من غير المعقول تصوّر نص إبداعي دون توقيع اسم مؤلّفه عليه، حتى وإن ذيلت عبارة "نص مجهول المؤلّف" حاشية النّص فتستكون دائماً بمثابة جمع بين حدين متناقضين، وعليه الثّقافة العربيّة الكلاسيكيّة لا تعترف بأيّ عمل أدبيّ مجهول المؤلّف حتى وإن شابه طيف من الانتحال أو السرقة الأدبيّة.

يمثّل لنا "عبد الفتاح كيليطو" في قضيته الأبلغ "المؤلف في الثّقافة العربيّة" بـ "أبي العلاء المعري" الذي يقول فيه: "قد يستغني المعري عن القائد بالعصا، وقد يستغني حتى عن العصا بلزوم منزله، ولكنه لا يستطيع الاستغناء عن قلم التّساخ (القلم، بمعنى ما، عصا تنوكاً عليها الذاكرة). وهكذا يقول في رسالة الغفران: "وأنا مستطيع

بغيري، فإذا غاب الكاتب، فلا إملاء لي"¹⁹، ففي هذا الشاهد تتمظهر لنا أهمية ووجوب وجود المؤلف في ثقافتنا العربيّة الكلاسيكية، فذا "المعري" يتوكأ على المؤلف كتوكؤه على عصا الكتابة، إذ لم نقل إنّه يكتب بالاستنساخ أي بالمؤلف.

وهكذا دواليك، تتلخّص صورة المؤلف في الثّقافة العربيّة الكلاسيكية التي استشفها "عبد الفتاح كيليطو" من تكرار الانتحالات والسرقات الأدبيّة مُجرّدا إياها من البُعد الأخلاقي ابتغاء ارجاع ارتدادات تنظيم وحداتها التّأليفية الأولى؛ في المقدرة على تحقيق مشروعية النّص، ومن ثم "تخصيص نمط معين من أنماط وجود الخطاب، فأُن يربط قول ما باسم المؤلف، أن يمكن القول: هذا كتبه فلان، أو فلان مؤلفه، فهذا يدل على أنّ القول ليس كلاما غفلا يروج ويعبر ويستهلك مباشرة، بل إنّنا أمام كلام يجب أن نتلقاه بشكل معين، كلام يلقي في تلك الثّقافة وضعا خاصا... فالكلام إن لم يحمل اسم مؤلفه، يكون مصدر خطورة ويصير أرضا غريبة تحار فيها الأقدام وتختلط الاتجاهات لغياب نقطة مرجعية معينة مضمونة"²⁰، وهذه هي حدود المسألة.

خاتمة:

في ختام قراءتنا للإبستمولوجية الخاطفة لبعض كتب المفكّر "عبد الفتاح كيليطو" انتهينا إلى تشكيلة من النتائج وثيقة الصلة بالسؤال عن كيفية إمكان المزاوجة بين ممارسة الأخير النقدية التراثية، وبين الفلسفة من حيث هي استراتيجية لتقويض الأزواج المفاهيمية الميتافيزيقية؛ يمكن استجماعها في النقاط التالية:

- يُفهم الفكر المركّب عند "إدغار موران" على أنّه تحدّي إيجاد استراتيجية بتحدد أجندة الفكر التبسيطي المهيمّين دونما إحداث قطيعة إبستمولوجية معه، يُعيد بعث ارتدادات عناصرها الصدفوية اللامنفصلة عن نظام الصدفة، إذ هو علاوة على كونه نسيج الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتّحديات

والمصادفات التي تشكّل عالمنا الظاهراتي؛ يستوعب مجمل القطع المتنافرة التي تأبى التفكّك إلى وحدات تكوينها الأولى.

- لقد تمكّن "عبد الفتاح كيليطو" داخل مغامرتنا الفكرية مُوحّدة المتعدّد هو هنا كتابات "عبد الفتاح كيليطو" التي تُفتق كمائن الممارسة الإبداعية الأدبيّة/النقدية الثرائية، وبين الفلسفة من حيث هي استراتيجية لتقويض الأزواج المفاهيمية الميتافيزيقية، عن طريق العمل بوصاية "إدغار موران" الكبرى المتمثلة في استبدال أدوات مفهومية يتغلّب بمعيتها على تحدّي تجاوز اختزال المركّب في البسيط.

- يتصدّر مفهوم "الأدب" أو "الأدب الكلاسيكي" المفاهيم المؤسسة لميتا-نسق التراث النقدي العربي عند "عبد الفتاح كيليطو"، فهو يتجاوز عنه المدلول الحديث ويعيده إلى مهاده الإبتيمي الذي احتضن نطه الخطابي التعليمي، ألا وهو الثقافة العربية الكلاسيكية، ثم في مرحلة تليها حاكم مفهومي "الألفة والغربة" تبعاً لنسق ثقافي مُوحّد، مُعتبراً "الغربة" مقياساً للعمل الأدبي الممتاز.

- أمّا المفهوم الثاني الذي يُمكننا من تعقيد التفكير في التراث لدى "عبد الفتاح كيليطو" هو مفهوم "المؤلف" مُوالي الخصائص العامة للنصّ العربي الكلاسيكي، الذي بحسبه مدار العملية الحيوية لفعل الكتابة، والقادر على تحقيق مشروعية النصّ انطلاقاً من بُعد الوظيفي مُكرر الانتحالات والسرفات الأدبيّة، بُعية تنظيم وحداتها التآلفية الأولى.

الهوامش:

¹ - إدغار موران، الفكر والمستقبل "مدخل إلى الفكر المركّب"، ترجمة أحمد القصور، منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2004، ص 60.

² - إدغار موران، الفكر والمستقبل، ص 15.

- ³ - روني ديكارت، حديث الطريقة، ترجمة عمر الشاراني، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008، ص 143.
- ⁴ - إدغار مورين، نحو نموذج جديد، فلسفات عصرنا "تياراتها، مذاهبها، أعلامها، وقضاياها"، ترجمة إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت، لبنان، الجزائر العاصمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009، ص 376.
- ⁵ - إدغار مورين، نحو نموذج جديد، ص 377.
- ⁶ - يُنظر: عادل بويحي، الأسس البراديغمية للواقع "من تجذر إبستمولوجيا البدهة والوضوح إلى رهانات إبستمولوجيا التعقيد" مقارنة تحليلية نقدية في فلسفة إدغار موران، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2019-2020، ص 50.
- ⁷ - يُنظر: إدغار موران، الفكر والمستقبل، ص 77.
- ⁸ - المرجع نفسه، ص 17.
- ^{*} - مبدأ الحوارية: يجمع بين مبدئين أو مفهومين خصمين يبدو كلّ منهما يطارد الآخر ظاهرياً، غير أنّه لا يمكن فصلهما وهما ضروريان لفهم حقيقة واحدة. اعترف الفيزيائي "نيلز بوهر" مثلاً بضرورة التفكير في الجزيئات الفيزيائية باعتبارها جسيمات وموجات في الوقت نفسه. وكما يقول باسكال "ضد حقيقة ما صحيحة ليس الخطأ، بل حقيقة أخرى مضادة". يُنظر: إدغار مورين، نحو نموذج جديد، ص 386.
- ⁹ - إدغار موران، الفكر والمستقبل، ص 18.
- ¹⁰ - المرجع نفسه، ص 83.
- ¹¹ - بلقاسم عيساني، الجمالية والعلائق "التلقي، التأويل، التناص، النقد الثقافي، الفكر المركب، تحافت المنهج ونسبية المقاربات"، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، الجزائر العاصمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019، ص 355.
- ¹² - إدغار موران، الفكر والمستقبل، ص 73.
- ¹³ - المرجع نفسه، ص 76.
- ¹⁴ - يُنظر: عبد السلام بنعبد العالي، الأدب والميتافيزيقا "دراسة في أعمال عبد الفتاح كيليطو"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2009، ص 15.

- 15 - عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغربة "دراسة بنيوية في الأدب العربي"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1997، ص-ص، 16-17.
- 16 - يُنظر: عبد القادر نويوة، تأويل السرد "قراءة في الخصوصية النقدية لكتابات عبد الفتاح كيليطو"، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف 2، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2016، ص 64.
- 17 - عبد الفتاح كيليطو، مسار، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014، ص 22.
- 18 - عبد الفتاح كيليطو، الكتابة والتناسخ "مفهوم المؤلف في الثقافة العربية"، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار التنوير للطباعة والنشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1985، تمهيد، ص 07.
- 19 - عبد الفتاح كيليطو، أبو العلاء المعري أو متاهات القول، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 14.
- 20 - عبد السلام بنعبد العالي، الأدب والميتافيزيقا، ص 23.